(٤)

شعر البارودى
بين التراث والمعاصرة (*)

على امتداد رحلة الشعر العربى الطويلة التى قطعت أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان شهدت حياة هذا الشعر ظاهرتين ملازمتين له :

الظاهرة الأولى : التواصل المتصل بين المراحل التى قطعتها هذه الرحلة الطويلة دون أن تتقطع الأسباب بين هذه المراحل، أو أن تفقد القدرة على الرؤية الواعية للماضى ، وكأنما ظلت نقطة البداية معلما ثابتا لا يغيب عن أنظار المنطلقين مع هذه الرحلة مهما تباعدت المسافات واختلفت المذاهب .

والظاهرة الأخرى أنه فى مفترق الطرق وفى مراحل الانتقال تتم عملية مزاوجة بين الماضى الذى يمثل تراثا خالداً متصلا والحاضر الذى يمثل الحياة الجديدة التى يستقبلها الشعر على امتداد رحلته الطويلة .

وفى ظنى أن تفسير هاتين الظاهرتين يرجع إلى القرآن الكريم الذى حفظ على اللغة العربية حياتها ، وعلى الأدب العربى بقاءه حتى اليوم ، وما فى شك فى أن هذا التواصل بين الأجيال ، وهذه الصلة المتصلة بين الماضى والحاضر ، وهذه المزاوجة بين التراث والمعاصرة ، هى التى حفظت على هذا الشعر حركته التى لم تتوقف ، وحياته التى استمرت حتى اليوم .

نرى هذا بوضوح عند الشعراء الذين عاشوا مراحل الانتقال بين العصور المختلفة ، وخاصة عند الأعلام الثلاثة الذين يمثلون معالم بارزة فى مفترق الطرق التى تحرك فيها الشعر العربى : حسان بن ثابت فى مفترق الطريق بين الجاهلية والإسلامية ، وبشار بن برد فى مفترق الطريق بين الأموية والعباسية ،

(*) ملخص محاضرة ألقاها ـ رحمه الله ـ فى احتفالات الإبابطين بذكرى البارودى